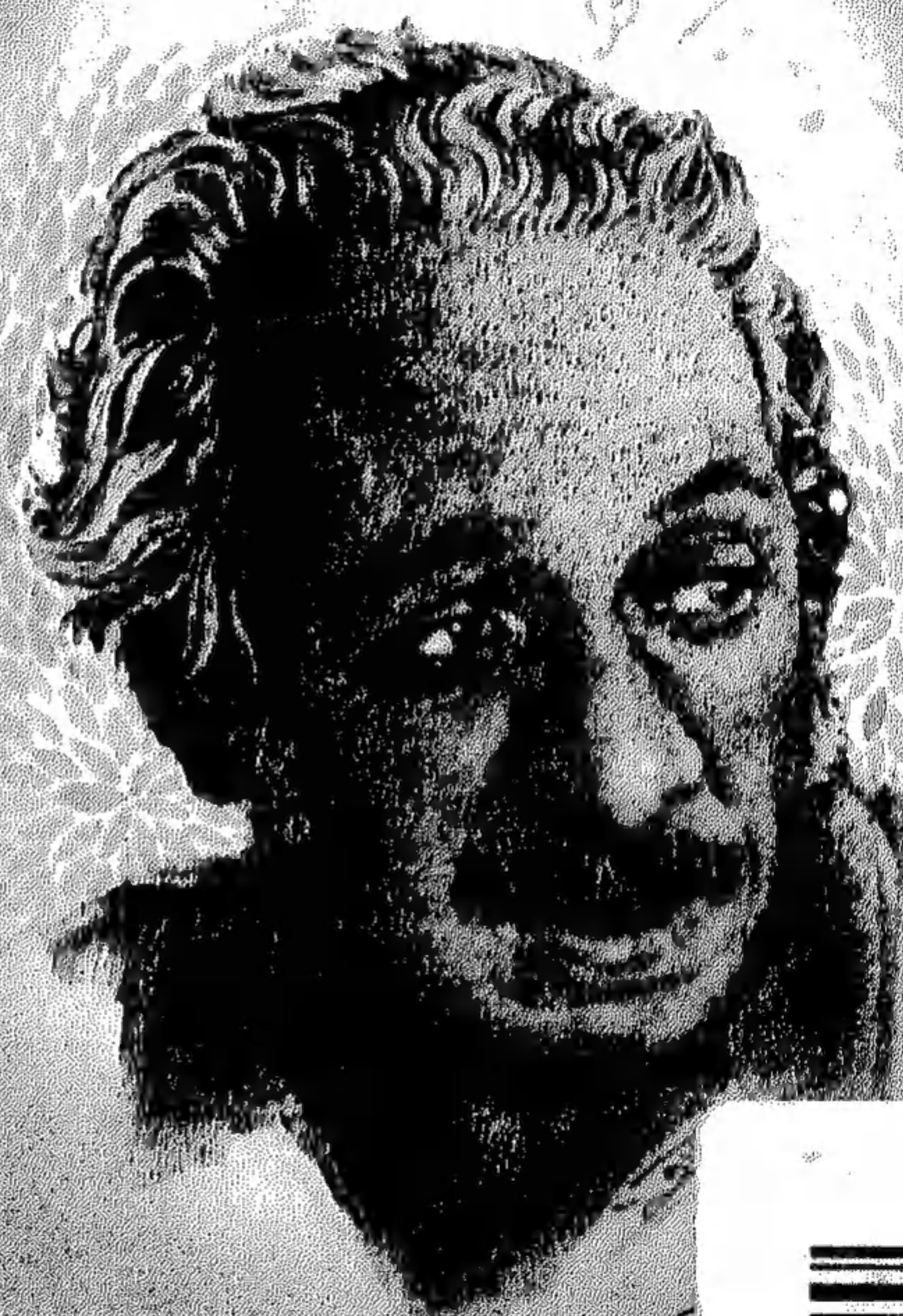


مكتبة الأسرة ١٩٩٨

الروائع



عبد المجيد صالح

صالح عبد المجيد

0156760



Bibliotheca Alexandrina

أروع ما كتب الشاعر
صلاح عبد الصبور

أروع ما كتب الشاعر

عبد الوهاب الصبور

إعداد

د. محمد عناني



مهرجان القراءة للجميع ٩٨

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك
(الروائع)

أروع ما كتب الشاعر
صلاح عبدالصبور

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب

الغلاف:

للفنان جمال قطب

الإشراف الفنى:

للفنان محمود الهندى

المشرف العام

د. سمير سرحان

مقدمة



ومازال نهر العطاء
يتدفق، تتفجر منه ينابيع
المعرفة والحكمة من خلال
إبداعات رواد النهضة
الفكرية المصرية وتواصلهم
جيلاً بعد جيل - ومازلنا
نتشبت بنور المعرفة حقاً
لكل إنسان ومازلت أحلم
بكتاب لكل مواطن ومكتبة
فى كل بيت.

شبّت التجربة المصرية «القراءة للجميع» عن الطوق ودخلت
«مكتبة الأسرة» عامها الخامس يشع نورها ليضىء النفوس
ويثرى الوجدان بكتاب فى متناول الجميع ويشهد العالم
للتجربة المصرية بالتألق والجدية وتعتمدها هيئة اليونسكو
تجربة رائدة تحتذى فى كل العالم الثالث، ومازلت أحلم بالمزيد
من لآلىء الإبداع الفكرى والأدبى والعلمى تترسخ فى وجدان
أهلى وعشيرتى أبناء وطنى مصر المحروسة، مصر الفن،
مصر التاريخ، مصر العلم والفكر والحضارة.

سوزان مبارك

على سبيل التقديم

تواصل مكتبة الأسرة ٩٨ رسالتها التنويرية
وأهدافها النبيلة بربط الأجيال بتراثها الحضارى
المتميز منذ فجر التاريخ وإتاحة الفرصة أمام القارئ
للتواصل مع الثقافات الأخرى، لأن الكتاب مصدر
الثقافة الخالد هو قلعتنا الحصينة وسلاحنا الماضى
فى مواكبة عصر المعلومات والمعرفة.

د . سمير سرحان

تصدير

تفخر مكتبة الأسرة بأن تقدم إلى القارئ العربى هذا العام مختارات من أروع ما كتبه الشاعر العظيم صلاح عبد الصبور ، وهى تجمع شتى الفنون التى أبدعها وتفوق فيها ، وتمتاز بالتنوع فى الرؤى وفى الأساليب والأشكال الفنية ، وتشهد بعبقرية قل أن يجود الزمان بمثله .

وقد اختيرت القصائد بدقة من دواوينه الأربعة الأولى وروعى فى ترتيبها التسلسل الزمنى ، بحيث يمكن للقارئ أن يتابع تطور الشاعر من الديوان الأول « الناس فى بلادى » إلى الثانى وهو « أقول لكم » إلى الثالث وهو « أحلام الفارس القديم » وحتى الرابع وهو « تأملات فى زمن جريح » . ونرجو أن تكون هذه الطاقة من أزهار الشعر الحديث حافزاً يحفز القراء على قراءة الدواوين كلها فيما بعد .

مكتبة الأسرة

الفهرس

الصفحة	القصيدة
١٣	١- هجم التار
١٧	٢- شفق زهران
٢١	٣- أبى
٢٧	٤- سوناتا
٢٩	٥- الرحلة
٣١	٦- الوافد الجديد
٣٢	٧- الأطلال
٣٥	٨- ذكريات
٣٧	٩- لحن
٤٠	١٠- نام فى سلام
٤٤	١١- مرتفع أبداً
٤٧	١٢- سأقتلك
٥٣	١٣- الشهيد
٥٦	١٤- أغنية ولاء
٥٩	١٥- ثلاث صور من غزة
٦١	١٦- أحبك
٦٥	١٧- الحب

الصفحة

القصيدة

٦٩	١٨- الكلمات
٧١	١٩- أغنية للقاهرة
٧٤	٢٠- أغنية لليل
٧٧	٢١- الحب فى هذا الزمان
٨١	٢٢- رسالة إلى سيدة طيبة
٨٤	٢٣- الخروج
٨٧	٢٤- أغلى من العيون
٩١	٢٥- أحلام الفارس القديم
٩٨	٢٦- انتظار الليل والنهار
١٠٢	٢٧- مرثية رجل تافه
١٠٤	٢٨- مرثية رجل عظيم
١٠٦	٢٩- زيارة الموتى
١١٠	٣٠- يا نجمى .. يا نجمى الأوحى
١١٥	٣١- الحلم والأغنية

هجم التتار



هجم التتار

ورَمَوْا مدينتنا العريقةً بالدمارُ

رجعت كتابنا ممزقةً ، وقد حمي النهارُ

الرايةُ السوداءُ ، والجرحى ، وقافلةُ مَوَاتِ

والطيلةُ الجوفاءُ ، والخطوُ الذليلُ بلا التفاتِ

واكفَ جنديٌ تدقُّ على الخشبِ

لحنَ السَّغَبِ

والبوقُ ينسلُّ في انبهارِ

والأرضُ حارقةٌ ، كأنَّ النارَ في قرصٍ تُدَارُ

والأفقُ مختنقُ الغبارِ

وهناك مركبةٌ محطمةٌ تدورُ على الطريقِ

والخيلُ تنظرُ في انكسارِ

الأنفُ يَهْمِلُ في انكسارِ

العينُ تدمعُ في انكسار
والأذنُ يلسعُها الغبار
والجندُ أيديهم مدلاةٌ إلى قربِ القدمِ
قمصانُهم محنيةٌ مصبوغةٌ بِثَّارِ دمِ
والأمهاتُ هربنَ خلفَ الربوةِ الدكناءِ من هول الحريقِ
أو هول أنقاضِ الشقوقِ
أو نظرةِ التَّـرِّ المحملقةِ الكريهةِ في الوجوهِ
أو كفهمِ تمتد نحو اللحمِ في نهمِ كربه
زحفِ الدمارِ والانكسارِ
وابلدي ! هجمِ التتارِ

في معزلِ الأسرى البعيدِ
الليلُ ، والأسلاكُ ، والحرسُ المدجَّجُ بالحديدِ
والظلمةُ البلهاءُ ، والجرحى ■ ورائحةُ الصديدِ
ومزاحُ مخمورين من جندِ التتارِ
يتلمظون الانتصارَ

ونهاية السفر السعيد

وأنا اعتنقت هزيمتى • ورميتُ رِجلى فى الرمالُ
وذكرتُ - يا أُمى - أماسينا المنعمة الطوال
وبكيتُ ملءَ العين - يا أُمى - لذكرى كالنسيمُ
وغمائم الكلم القديم
أُمى ...

وأنت بسفح ذاك التل بين الهارين
والليل يَعدُّ للصغار الرعبَ من تحت الجفون
والجوعُ والثوبُ الشفيف
والصمُ والسِيلةُ والظلماءُ تقعى فى الكهوف
أترى بكيت لأنَّ قريتنا حطام .. ؟
ولأن أياماً أثيرات تولَّتْ لَن تعود ؟
أماه ! إنا لن نبيدُ

هذا بسمعى صاحبٌ من أهلِ شارعنا العتيد
وسعالٌ مهزومٌ قعيدُ
وفمٌ يهتمُّ من بعيدٍ بالوعيدُ

وأنا - وكلُّ رفاقنا - يا أمُّ حين ذَوَى النهار
بالحقدِ أقسمنا ، سنهتفُ في الضحى بدم التار
أماه ! قولى للصغار :

أيا صغار ...

سنجوسُ بين بيوتنا الدكناءِ إن طَلَعَ النهارُ
ونشيدُ ما هدم التار ...



شوق زهران

٢

... وثوى فى جبهة الأرض الضياء
ومشى الحزن إلى الأكواخ • تَنِينٌ لَهُ أَلْفُ ذِرَاعٍ
كل دهلِيزِ ذِرَاعٍ
من أَذَانِ الظَّهِيرِ حَتَّى اللَّيْلِ ... يا لله
فى نَصْفِ نَهَارٍ
كل هذى المَحَنُ الصَّمَاءِ فى نَصْفِ نَهَارٍ
مَدَّ تَدَلَّى رَأْسُ زَهْرَانَ الْوَدِيعِ

كان زهران غلاما
أمه سمراء ، والاب مؤلَّد
وبعينيهِ وسامه
وعلى الصَّدْعِ حمامه
وعلى الزند أبو زيد سلامه
ممسكاً سيفاً • وتحت الوشم نَبَشٌ كالكتابه

اسمُ قريه

« دنشواي »

شب زهران قويا

ونقيا

يطأ الأرض خفيفا

واليفا

كان ضحاکا ولوعا بالغناء

وسماع الشعر في ليل الشتاء

ونمت في قلب زهران ، زهيره

ساقها خضراء من ماء الحياه

تاجها أحمر كالنار التي تصنع قبله

حينما مر بظهر السوق يوما

ذات يوم

من زهران بظهر السوق يوما

واشترى شالا منمنم

ومشى يخال عجباً ، مثل تركي معمم

وَيُجِيلُ الطَّرْفَ . . . ما أحلى الشبابُ

عندما يصنع حبا

عندما يجهّدُ أن يصطادَ قلبا

كان يا ما كان أن رُفَّتْ لزهرا ن جميلةُ

كان يا ما كان أن أنجب زهران غلاما . . . وغلاما

كان يا ما كان أن مرّت لياليه الطويلةُ

ونمت في قلبِ زهرانِ شُجيرَه

ساقها سوداءُ من طين الحياه

فرعها أحمرُ كالنارِ التي تُحرقُ حقلا

عندما مرّ بظهر السوق يوما

ذات يوم

مر زهران بظهر السوق يوما

ورأى النارَ التي تُحرقُ حقلا

ورأى النارَ التي تصرع طفلا

كان زهران صديقاً للحياه

ورأى النيرانَ تجتاح الحياه

مد زهران إلى الأنجم كفاً
ودعا يسألُ لُطفًا
ربما . . . سورةٌ حَقِدَ في الدماء
ربما استَعْدَى على النارِ السماء

وضع النِطع على السُّكَّة والغيلانُ جاءوا
وأتى السيافُ مسرورُ وأعداءُ الحياه
صنعوا الموتَ لأحبابِ الحياه
وتدلى رأسُ زهران الوديعُ
قربتى من يومها لم تَأْتِدِمِ إلا الدموعُ
قربتى من يومها تأوى إلى الرُّكنِ الصديق
قربتى من يومها تخشى الحياةُ
كان زهرانُ صديقاً للحياة
مات زهرانُ وعيناه حياة
فلماذا قربتى تخشى الحياة . . . ؟



أبي

٣

... وأتى نعى أبي هذا الصباح

نام في الميدان مشجوج الجبين

حوله الذؤبان تعوى والرياح

ورفاق قبلوة خاشعين

وبأقدام نجر الأحذية

وتدق الأرض في وقع منقر

طرقوا الباب علينا

وأتى نعى أبي

كان فجراً موغلاً في وحشته

مطر يهمى ، وبرد ، وضباب

ورعود قاصفه

قطعة تصرخ من هول المطر

وكلاب تتعاوى

مطر يهيم ، وبرد ، وضباب

وأتينا بوعاء حجري

وملأناه تراباً وخشباً

وجلسنا

ناكلُ الخبزَ المقددَ

وضحكنا لفكاهه

قالها جدي العجوزُ

وتسللُ

من ضياءِ الشمسِ موعد

فتفاءلنا ، وحيينا الصباح

وبأقدام تُجرُّ الأحذية

وتدقُّ الأرضُ في وقعٍ مُنفرٍ

طرقوا الباب علينا

وأتى نعيُّ أبي

حين ودعت أبي

من زمان

كان دَمْعِي غائراً في مُقَلَّتِي
وشفاها تنطقُ الحرفَ الصغيرُ
يا أبي !

مرة يخنُّقه الدمعُ • ويأبِّي
أن يذوبُ

في فراغِ العدمِ
ثم جمعتُ حياتي
وهي بعضٌ من أبي

ما الذي يقصيك عني ... ؟
ما الذي يدعوك للبحر الكبير ؟
ما الذي يدعوك للدرب المضلل ؟
لم تجفو مضجعتك ؟

لم يبدو الموتُ في منزلنا
قلداً لا يخطئُ
وأبي يثنى ذراعَه

كهرقل

ثم يعلو بي إلى جبهته

ويناغى

تارة رأسي وطوراً منكبي

ويصرّ البابُ في صوتِ كُتَيْبُ

ومضى عني ، وراحتْ خطوته

في السكون ...

ونرى طَلَعَتَهُ ، فاعوى

يا أبي !

وأتى نعيُّ أبي هذا الصباح

نام في الميدان مشجوج الجبين

جُنَّتْ الرِّيحُ على نافذتي

في مسائي ، فتذكرت أبي

وشكَّتُ أُمِّيَ من علَّتْها

ذاتَ فجرٍ ، فتذكرت أبي

عقرَ الكلبِ أخى ...

وهو في الحقل يقودُ الماشيه

فبكينا

حين نادى . . .

يا أبي !

إننا الأغرابُ في القفر الكبير

إننا ضيقنا وضائق روحنا

القطيع . . !

غاب راعيه ، وطالت رحلته

وهو في بيداء لا ظل بها

يا لأقدام تجرُّ الأحذية

وتدقُّ الأرضَ في وقع منفر

يا لأقدام تذيبُ النِّبَا

نبأ المصروع في صخر الجبل

إنه مات !

إنه مات وجفت رحلته

إنه مات وواراهُ الثرى

حيثُ مات

حين غاب لهيبُ المدفاه

كلُّ شَيْءٍ كَانَ يَحْكِي النَّبَا
قطعةٌ تصرخُ من هولِ المطرِ
وكلابٌ تتعاوى
ورعودُ

كان فجراً موغلاً في وَحْشَتِهِ
وأتى نعي أبي
نام في الميدان مشجوج الجبين ..



٤ سوناتا،

ولا تُشغلي إننا ذاهبانِ إلى قرية لم يطأها البشرُ
لنحيا على بقلها ، لا الحياةُ تَضُنُّ علينا ، ولا النبعُ جَفَ
ونصنعُ كوخاً حوالبه تلُ من الوردِ باحته ، والسُجفُ
ويا فتنتي ، سامي رحلتني وغربتنا المرفأ المنتظرُ

وكانَ سريرك من صندلٍ وفرشتهُ من حريرِ الشمام
وطوقتُ جيدك بالياسمينِ ومسحتُ كفيك بالعنبرِ
وثوبك خيطٌ من المولدينِ وخيطٌ من الذهبِ الأصفرِ
ونُرُخي الستارُ ، وفيروزتانِ تموجانِ في وجهك المُستهامِ

وأيقظني صاحبي (با فلان)

أفقٌ ، غمرَ النورَ وجهَ الوجودِ
ودوى القطارُ ، ومجاجَ الطريقُ

زحاماً من الأرضِ حتى السماءِ

يساقونَ والموتُ في مرصدٍ
لمركبةِ البُلهِ والأغبياءِ
لأجلِ الرغيفِ ، وظلي وريفِ
وكروخِ نظيفِ ، وثوبِ جديدِ
وفي العصرِ شُفتكِ يا فستنتي
ولم نفترقِ في الزحامِ البليدِ
وقبَلتُ ثوبكِ يا فستنتي
لأنكِ أنتِ رجائي الوحيدِ



٥ . الرحلة ،

الصباحُ يدرجُ في طفولته والليلُ يحبو حبو منهزم
والبدرُ لملم فوق قريننا استتاراً أوتيه ، ولم أنم

جامٌ وابريقٌ وصومعةٌ وسماءٌ صيفِ ثرةِ النعم
قد كرمت أنفاسها رتتي وتقطرت أنذاؤها بفسمى
ونجيمةٌ تغفو بنا فذتي

لحظتُ شرودى لحظاً مبيناً
وصدى لموالٍ يعاودنى

وحفيفٌ موسيقى من السدوم

وروى أنضسرها وأطفئها وألها ، وينثرها سامى
وعرائسُ تختالُ فى حلمى بين الدفوفِ وضجةِ النغم
وأطلُ مأخوذاً فتبسم لى تيجانها ، ويهزنى ضرمنى
وترودها كفى فيفجعنى حسُّ الدمى ، وبرودة الصنم

قممى تنكر لى مسالكها من بعد إلفى روعة القمم
يا رحلة المعنى على خلدى قرى بجدي عانقى عدمى

ولى المساء وجوه السحرى الصبح أشرق وجهه الخمرى

يا إختوتى النوم ، ما ألقى

حـضن الكرى ، وسداجة الفكر



٦ الوافد الجديد

زورقي جانحٌ كسـيرٍ وشـراعى به حُرُوقُ
 وخليـجى ومرفئى نـامٌ مـن دُونِهِ المَضيـقُ
 وأنا جـاهِدٌ لَغُوبُ أَتـهـادى إلى الأبدِ
 نحو قصـرٍ من الرمالِ وقـلاعٍ من الزبدِ
 ينها يرقُدُ الحـبيبُ فى سـريرٍ من الدُخانِ
 فوقه مـجمَرٌ غـريبٌ وظلالٌ من القـيـانِ
 زورقي مـالٌ وانكسر غـامٌ فى المـاءِ نصـفُهُ
 ضاعَ كـدّى ! فلن أرى من سـبى النـفسِ وصـفُهُ
 وبعيداً على الضفافِ هللَ الوافـدُ الجـديدُ
 لحـبـيبى ، على دمي قد بنى عالماً سـعيدُ



أطلال ... أطلال
 يمشى بها النسيانُ
 في كفه أكفانُ
 لكل ذكرى قبرُ
 وبينها قبرى ..

أطلال ... أطلال
 ناحت له صلواتُ
 واسترحمتُ عبراتُ
 وتصدَّتْ التزاوتُ
 في ثوبها الشِعْرى

أطلال ... أطلال
 الوردُ فيها تَلَّ
 ممزَّقٌ مبتل

بالنهر من سَمعى

والقيظ من فكرى

أطلال ... أطلال

والجنُّ فيها سُودٌ

لهم فحيحُ السُودِ

يُثبون فى الأسحار

وثباً على صدرى

أطلال ... أطلال

والفجرُ فيها طفل

مُعقرٌ مُعتلٌ

ممزقُ الوجناتِ

مروعٌ يجرى

أطلال ... أطلال

والبلبلُ النواح

ولّى بغيرِ جناح
إلا رؤىً وخيالُ
أصبحتُ لا أدري

أطلال ... أطلال
« تأنجو » تَرنّ هناكُ
أزهارها أشواكُ
وشطّها خدّاعُ
والركبُ لا يدري

أطلال ... أطلال
هذى هي الأطلال
نهايةُ الآمالِ
أسعى وراءَ الشمسِ
والشمسُ في ظهري ..



ذكریات

٨

ذاتَ مساءٍ مُظْلِمٍ كأنَّهُ سِرْدَابُ
أُطْلُ من كَوَى الجِدَارِ وَجْهَهُ المِرْتَابُ
والرَّيحُ حَوْلَ كَوْنِهِ قَارِصَةٌ مَدْمَدِمَةٌ
والرَّعْدُ قَاصِفُ الصَّدَى ، مَدِينَةٌ مُنْهَدِمَةٌ
والْبَرْقُ ضِئَاءٌ فِي السَّمَاءِ أَهْلَةٌ أَهْلَةٌ
وَالْأَفَقُ غَابَةٌ كَثِيفَةُ النِّبَاتِ مُشْعَلَةٌ
فَلَمْ يَجِدْ لَهُ إِلَى الْإِخْلَاصِ مِنْ سَبِيلٍ
وَمَاتَ فِي مَسْجِنِهِ ، فِي كَوْنِهِ الدَّلِيلُ

وبعدَ عامٍ ، مثْلما يُقالُ ، دَبَّتْ الحَيَاءُ
فِي رُوحِهِ وَجَسَمِهِ ، فَهَبَّ يَبْتَغِي النِّجَاءُ
أُطْلُ من كَوَى الجِدَارِ وَجْهَهُ ، يَا فَرَحْنَا
فَأَطْبَقَ العَيْنِينَ ، صَرَ بَابَهُ ، وَالتَفَتَا
وَكَانَتْ السَّمَاءُ بِحَرَّةٍ تَمُوجُ بِالْحَنَانِ
وَالشَّمْسُ وَالْهَلَالُ فِي الْخُضْمِ زَوْرَقَانِ

وحيث مَدَّ قامةً كسيرةً محطومةً
تلقَّعَ الثوبَ القديمَ . والحوائجَ القديمة

وكان جائعاً وظامئاً ، ممزَّقَ الثياب
ولم يكنْ لقلبه في الكونِ من أحباب
وفجأةً لاحَ له أميرةٌ مؤتزرةٌ
بيضاءٌ مثل لؤلؤ . وحلوة كسكره
مدَّت ذراعِي فضةً تلقاهُ في تحنان
وكوَّمتْ في ثغرها النضير قُبلةَ الحنان
لكنَّهُ استدارَ للفلاة حائر الخطى
كأنَّهُ ، فيما يحدثون ، عملاقٌ مضى
ومات يا سيدتي الحسناء ميتةً الشهيد
ولن يعودَ للحياة . والشهيدُ لن يعودَ
وتسألينَ : لمْ حكيتَ في المساءِ قصَّتَهُ
ولمْ بعثتَ في السكونِ ذكرياتِ ميتة ؟
سيدتي ! حينما عاهدتُهُ كان يموت
سيدتي ! أما عرفتِ أنني صموت
يطلُّ من كُوى الجدارِ وجههُ المرتاب
كل مساءٍ مظلمٍ كأنَّهُ سرداب



جارتى مَدَّتْ من الشَّرْفَةِ حبلًا من نَغَمٍ
 نغم قاسٍ رتيبٍ الضربِ متزوفِ القَرَارِ
 نغم كالنار
 نعم يقلعُ من قلبى السكينة
 نغم يورِقُ فى روى أدغالا خزينة
 بيننا يا جارتى بحرٌ عميق
 بيننا بحرٌ من العجزِ رهيبٌ وعميق
 وأنا لستُ بقُرْصَانٍ ، ولم أركب سفينة
 بيننا يا جارتى سبعُ صحارى
 وأنا لم أبحر القرية مذ كنتُ صبيًا
 أُلْقِيتُ فى رجلي الأصفادُ مذ كنتُ صبيًا
 أنتِ فى القلعةِ تغفينَ على فرشِ الحرير
 وتذودينَ عن النفسِ السَّامةِ
 بالمرايا واللآلى والعطورُ

وانتظار الفارس الأشقر في الليل الأخير

« أشرفي يا فتتي »

« مولاي !! »

« أشواقى رمت بي »

« آه لا تقسم على حبي بوجه القمر »

ذلك الخداع في كل مساء

يكتسى وجهها جديداً ..

جارتى ! لست أميرا

لا ، ولست المضحك المراح في قصر الأمير

سأريك العجب العجيب في شمس النهار

أنا لا أملك ما يملأ كفى طعاما

وبخديك من النعمة تفاح وسكر

فاضحكى يا جارتى للتعساء

نغمى صوتك في كل فضاء

وإذا يولد في العتمة مصباح فريد

فاذكرى ...

رَبُّهُ نَوْرُ عَيْوُنِي وَعَيْوُنُ الْأَصْدِقَاءِ

وَرَفَاقِي طَيِّبُونَ

رَبِّمَا لَا يَمْلِكُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ حَشْوَةً فَمَ

وَيَمْرُونَ عَلَى الدُّنْيَا خِيفَةً كَالنَّسَمِ

وَوَدَّعِينَ كَافْرًا حَمَامَةً

وَعَلَى كَاهِلِهِمْ عِبْدٌ كَبِيرٌ وَفَرِيدٌ

عِبْدٌ أَنْ يُؤَلَّدَ فِي الْعَتَمَةِ مِصْبَاحٌ وَحِيدٌ . . .



١٠ نام في سلام

« لذكرى قريبي وصديقي الطيار محمد نبيل الباجوري »

« استشهد على رمال غزة في سبتمبر عام ١٩٥٥ »

وأذرفت عيناهُ دمعاً السرورُ
ونُورت في وجهه النبلُ بسمَةً وديعةُ
يحارُ في تأويلها القضاءُ
ومد كفه ، منارة الضياءُ
ثم أحالَ طرفه كأنه يبارك الحياة والأحياء
بنظرةٍ باسمَةٍ تُضاحكُ السماءُ
وماتَ ذلك الوديعُ دونَ ما احتفالُ
معلماً ورائداً في بسْنة الكمالِ
أما التلاميذُ الذين أنفقوا أيامهم محبةً للحكمةِ
فقد تهامسوا بدهشةٍ
« أيْسَمُ المعلم ؟ »
عندئذٍ أجابَ أكثرُ الشبابِ فطنه

ألم يَقُلْ لنا المعلمُ الشهيدُ حكمةَ الأجيال
يا أيها الإنسانُ . . .

إعرفُ نفسك ..

وهو يموتُ وادعًا ، لأنه عَرَفَ

فماتَ في سبيلِ سُنَّةِ الكمالِ

وجرَّ آخرَ صليبهُ ، ووجهه يفورُ بالزَّيدِ

والجُهدُ والرَّمضاءُ يُغريانِ منكبينِ عارينِ

لكنه ابتسمَ

لأنه قد وهبَ الحياةَ

أيامهُ القليلة

لكي يزيدَ في هناءةِ ابتسامَةِ الصَّبِيِّ

ونشوةِ العذراءِ

وفرحةِ الآباءِ بالأبناءِ

لكي ترفَّ في سَحابةِ السماءِ

حمامةُ السلامِ

أما أخى « محمد نيل »
فقد طوى جنازه شوارع المدينة
فى ظهر يوم قاتظ ■ والناس مطرقون
أحبابه ، أحببنا ■ وأهل حينا القديم
وأعولت صبية فى شرفة مهدومه
ودق طبل معول ، وسار جند واجمون
وساءلت مشيرة عجوز

« فى ذلك الصندوق ■ من هذا الذى ثوى ؟ »
« هذا فتى مجاهد قد مات فى العشرين ■
ولم تقل كليمه ■ امرأة غريبة
لكنها من قومنا ، فى قلبها كنور
وتعرف الحنان والأحزان
فاندفعت باكية فى رحمة الجنائز
ومس لحمها العجوز منكبي وساعدى
وكان لحم منكبي يغوص فى الصندوق
وكل شئ كان هامداً كأنه يموت
لكنه يموت فى عناق

وفى المدافن التى تنامُ فى الحقولِ غَيَّوهُ
لم يبقَ من هذا الوسيمِ غيرُ حفنةِ ترابٍ
ترابِ مصر

تعود كى تنامَ فى حضنِ الترابِ
ترابِ جدُّنا وأهلنا ، تنامُ
تنامُ فى سلامٍ

وكانَ فى وجهِ السما سحابة من الشفقِ
حمرأُ مثلُ دمٍ

وكانَ فى طرفِ المدى نَوَّارةِ الحقولِ
بيضاءُ مثلُ قلبينا ، وقلبه ، وقلبِ ميتينِ آخرينِ
من قومنا المجاهدين الطيبين
من قومنا الذين باركوا الحياة



رفع العلم المصرى على مبنى البحرية ببورسعيد يونيه سنة ١٩٥٦

لترتفع ، لترتفع ، يا أيها المجيد
يا أجمل الأشياء فى عينى ، أنت يا خفاق
يا أيها العظيم ، يا محبوب ، يا رفيع ، يا مهيب
يا كل شيء كان فى الحياة أو يكون
يا علّمى ، يا علّم الحرية
فداء تلك اللحظة المجيدة الثرية
مضى إلى السكون من أحبابنا ألوف
ليجعلوا قلوبهم تلاً من التراب
يقوم فوقه العلم
ليفتلوا عروقهم سارية مجيده
يزين فرعها العلم

لينسجوا أيامهم ديباجة خضراء

ترف في الهواء

كوجهك النيل ، يا علم

ومن بياض المقلتين • حين تشخصان للسماء

تستطران - في ليالى اليأس بسمة الرجاء

هلا لك الوسيم ، يا علم

فلترفع يا أشرف الأشياء

أفديك صاعداً إلى السماء

كطائر من الجنان ينقر السحاب والأجواء

برقة نييلة من ذلك الجناح

يهز قلبنا الحنين ، يا علم

في سحبة صغيرة من طرفك المعقود

يموج حبنا العميق ، يا علم

لقد ملكتنا بوجهك الجميل

ورقة الجناح

وخفك النيل

ورقة الوشاح

وما أكتبنا في سبيل أن ترف يا علم

ليسترح على وساد الشمس خدك الرقيق
إلى الأبد

لتضحك السماء لك

سحابة سخية تظلك

والقمر الزاهي يُقبلك

والشفق المخضوب بالدماء يغسلك

لتحترق على المدى جسومنا

لكي تنير أنت

تغوص في جوف الثرى عظامنا

لتستطيل في قلب الثرى ساريتك

وترتفع

وما تزال ترتفع

يا أشرف الأشياء



أكتوبر سنة ١٩٥٦

سأقتلك

من قبل أن تقتلنى سأقتلك

من قبل أن تغوص فى دمى

أغوص فى دمك

وليس بيننا سوى السلاح

وليحكم السلاح بيننا

سنابك الجدود وقعها المهيبة ما يزال

يموج فى ذاكرة الأيام

ونورهم يختال فوق مفرق التاريخ

فمنهم الذى بنى حجارة الأهرام

لكى يمجّد الإنسان حين يشمخ الإنسان

ومنهم الذى بنى منارة الإسلام

لَكَيْ يَقُولَ لِلْأَنَامِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَنَحْنُ فِي حَاضِرِنَا الْمَجِيدِ نَصْنَعُ السَّلَامَ
هَدِيَّةً مِنْ شَعْبِنَا لِلْعَالَمِ الْجَدِيدِ
الْعَالَمِ الَّذِي يَرِيدُ
يَرِيدُ لِلرِّجَالِ أَنْ يَعَانِقُوا الرِّجَالَ دُونَ حَقْدِ
الْعَالَمِ الَّذِي يَرِيدُ
يَرِيدُ لِلنِّسَاءِ أَنْ يُغْفِينَ وَادْعَاتِ
فِي أَذْرَعِ الْأَزْوَاجِ وَالْأَحْبَابِ وَالْأَبْنَاءِ
الْعَالَمِ الَّذِي يُصْبِحُ الْأَطْفَالَ • نُورَةَ الْأَمَلِ
بُنْغِيَّةَ الْحَنَانِ وَالْدُمَى وَبِالْقُبْلِ
الْعَالَمِ السَّعِيدِ ، وَاحِدَةُ الْأَجْيَالِ
فِي سَعْيِهَا قَوَافِلُ الْأَجْيَالِ ، نَحْوَ عَالَمٍ سَعِيدٍ
وَأَنْتَ ، وَالْإِمْحَالُ وَالْعِيَاءُ وَالظَّلَامُ فِي خُطَاكَ
تَرِيدُ أَنْ يَصْفَرَّ فِي الْقُلُوبِ بُرْعُمُ الْأَمَالِ
فِي عَالَمٍ سَعِيدٍ
أَقْسَمْتُ بِالْأَهْرَامِ وَالْإِسْلَامِ وَالسَّلَامِ

سأقتلك

بكل ما سقيت من مرارة الأيام

أغوص في دمك

أقسمت بالأخ الذي مضى « وخلته بلا ثمن

في عامنا الماضي « ولم يلف حول جسمه كفن

لأنه احترق

على تراب « غزة » البيضاء بالطائرة احترق

كان اسمه « نبيل »

وكنت في محبتي أدعوه بليلي الحبيب

وكان راعف الجناح « دائب الأسفار

وكان حينما يعود ينقر الوداد من فؤادي ..

حيثين ... حيثين

فحبة لجوعه « وحة تذكّار

وفي الأصيل « كان يهدل اللقاء غنوتين

فغنوة لأهلنا ، وغنوة للدار

لكنَّهُ مَضَى ، وَخِلَّتُهُ مَضَى بِلَا ثَمَنِ
أَقْسَمْتُ وَجْهَكَ الْجَدِيبُ سَوْفَ يُصْبِحُ الثَّمَنُ
مِنْ أَجَلِهِ سَأَقْتُلَكَ
لَأَجَلَ ثَارِهِ أَغْوَصُ فِي دَمِكَ

الشمسُ في بلاد الشمس بهجةُ النظرِ
وفوق معطفِ السحابِ يدرجُ القمرُ
وتزدهي النجوم كالزهر
وفي ربي بلاد الشمس تورقُ الحياه
سنابلاً ذهباً

والشمسُ واللجينُ في صبا الأصيل ينسجان
مطارفاً ما حازها في وهمه فنَّانُ
أقسمتُ بالقمر
وبالسحابِ والزهر
وباللجينِ ، واهبِ الحياه
سأقتلك ،

من قبل أن تقتلنى سأقتلك

أهل بلادى يصنعون الحب

كلامهم أنغام

ولغوهم بسام

وحين يسغبون يطعمون من صفاء القلب

وحين يظماون يشربون نهلة من حب

ويلفظون حين يلتقون بالسلام

- عليكم السلام

- عليكم السلام

لأن من ذرى بلادنا ترقق السلام

وفاض من بطاحتها محبة خضراء مثل نبتة الحقول

ورقة بيضاء كالأزهار فى الخميل

ورحمة زهراء

كقلب أمهاتنا

كفرحنا بعيدنا

كالقطنِ حينَ يستيرُ لوزُهُ جنى

وأنتَ ، يا مُدنَّسَ الخطى

تريدُ ، بشَّ ما تريدُ

لكننى سأقتلك

من قبل أن تقتلنى أغوصُ فى دَمِكُ



الشهيد

١٣

يا عجباً ، كل مساءٍ موعدي مع المضرَج الشهيد
كانَ منديلَ الشفقِ
دَمَّةُ

كانَ مدرجَ الهلالِ كُفُّهُ ومعصمُهُ
كانَ ظلمةَ المساءِ معطفُهُ
وبدرةَ السنا أزرارُ سترتهُ
كأنَّهُ مسافرٌ على جوادِ الليلِ مشرقاً ومغرباً
كلَّ مساءٍ بلا ملالٍ

يهيجُ في قلبي اللباعَ والشجى
لأنَ بين مقلتيه جرحاً ما يزالُ
وحينَ يوغلُ المساءُ ، أهتفُ اسمه الحبيبُ
أدعوه أنْ يخفَ لى من أفقهِ الرحيبُ
يجئُ . . لا يكسرُ قلبي

تَجُورُ خَفَاءً إِلَى جَوَارِي
وَيَتَكَّى جَنْبِي عَلَى سُرِيرِي
لَكِنَّمَا عَيْنَايَ تُطْرَفَانِ ، تَعْشِيَانِ
وَكَيْفَ لِي « وَجْرَحُهُ فِي وَجْهِهِ مَصْبَاحُ
الصَّمْتِ ! لَا أَحَارُ مَنْطَقًا
وَرَبَّمَا أَقُولُ : أَنْتِ
وَرَبَّمَا تَطُوفُ فِي وَجْهِهِ أَنْفَاسُهُ
كَأَنَّمَا تَقُولُ جِئْتُ . . .
لَكِنَّمَا دِيكَ الصَّبَاحُ صَاحٌ فِي الْأَفْقِ
لِنَفْتَرِقَ
لَا تَلُهُ عَنْ مَوْعِدِنَا ، إِلَى الْلِقَا
وَحِينَ يَنْشُرُ الْجَنَاحَ
يَقُولُ خَافَقِي : رَأَيْتُهُ
تَقُولُ مَقَلَّتِي : كَأَنَّنِي رَأَيْتُ

كُلِّ مَسَاءٍ يَنْزِلُ الشَّهِيدُ فِي مَدِينَتِهِ

يُثِّها أَشواق قلبه البرىءُ
وأمس مرّاً حياً وجهه الوضىءُ
هنيهةً وماج ثوبه على استدارة الأفق
فوق رُبى المدينة الفساح
وانطفأت جراحه فى صدرها الجرىءُ
ونور المساء بالجراح
كأنه صباح ...



١٤ أغنية ولاء

صنعتُ لك
عرشاً من الحرير ... مخملي
نجرته من صندل
ومسندين تتكى عليهما
ولجة من الرخام ، صخرها الماس
جلبتُ من سوق الرقيق قيتين
قطرتُ من كرم الجنان جفتين
والكأسُ من بللور
أسرجتُ مصباحا
علَّقتهُ في كوةٍ في جانب الجدار
ونوره المفضضُ المهب
وظلُّه الغريب
في عالم يلتفُ في إزاره الشحيب

والليلُ قد راحا
وما قدمت أنت ، زائري الحبيب

هدمتُ ما بنيت
أضعتُ ما اقتنيت
خرجتُ لك
على أوافى محملك
ومثلما ولدتُ - غير شملة الإحرام - قد خرجت لك
أسائلُ الروادُ

عن أرضك الغربية الرهية الأسرار
في هدأة المساء ، والظلامُ خيمةُ سوداء
ضربتُ في الوديان والتلاع والوهادُ
أسائلُ الروادُ
« ومن أراد أن يعيش فليمتُ شهيد عشق »
أنا هنا ملقى على الجدار

وقد دفنتُ في الخيال قلبي الوديع

وجسمى الصريع
فى مهمه الخيال قد دفنت قلبى الوديع

يا أيها الحبيب
معذبي ، يا أيها الحبيب
أليس لى فى المجلس السنى حبة التبيع
فإننى مطيع
وخادم سميع

فإن أذنت إننى النديم فى الأسفار
حكائى غرائب لم يحوها كتاب
طبائعى رقيقة كالخمر فى الأكواب
فإن لطفك هل إلى رنة الحنان
فإننى أدل بالهوى على الأخدان
أليس لى بقلبك العميق من مكان
وقد كسرت فى هواك طينة الإنسان
وليس ثم من رجوع ...



١٥ ثلاث صور من غزة

-١-

لم يكُ في عيونه وصوته ألمٌ
لأنه أحسَّ سنه
ولاكَّهُ . . استنشقه سنه
وشاله في قلبه سنه
وطالت السنون أزمته
فأصبحت آلامه - في صدره - حقدا
بل أملاً ينتظر الغدا

-٢-

يا أيها الصغار
عيونكم تحرقني بنار
تسألني أعماقها عن مطلع النهار
عن عودة إلى الديار

أقول . . . يا صغارُ

لنتظر غداً

لو ضاع منا الغد ، يا صغارُ . . .

ضاعَ عُمُرُنَا سدي

-٣-

كانت له أرض وزيتونه

وكرمةً ، وساحةً ، ودارُ

وعندما أوقَّتْ به سفائنُ العمرِ إلى شواطئِ السكينة

وخطَّ قبره على ذُرَى التلالِ

انطلقت كتائبُ التَّارِ

تذودُهُ عن أرضِهِ الحَزِينَةِ

لكنَّهُ خلفَ سياجِ الشوكِ والصَّبَارِ ظل واقفاً . . .

بلا ملال

يرفضُ أن يموتَ قبلَ يومِ تَارِ

يا حُلَمَ يومِ التَّارِ



لا ، لا تنطق الكلمة

دعها بجوف الصدر منبهمه

دعها مغممة على الخلق

دعها ممزقة على الشدق

دعها مقطعة الأوصال مرميه

لا تجمع الكلمة ...

دعها رمادية

فاللون في الكلمات ضيعة

دعها غمامية

فالخصب شردنا وجوعنا

دعها سديمية

فالشكل في الكلمات توهنا

دعها ثرايية

لا تلق نبض الروح في كلمه

كم مرة جاشت يي الكلمة
ويدت لعيني ، وهي تستاني
فوق الشفاه رقيقة تحني
جيداً ، وتستدني
خدين مضمومين في بسمه
وتكاد تغلبنني على قصدي
لأقول ما أغني
وأفك طلسمي ، وأجمع من
حلقى الشباك لتفلت الكلمة
وأعود أذكر مرة سلفت
عامين من بأسائها اعترفت
روحي الكتوم ، لأنها اعترفت
وسقطت تحت سنابك الكلمة
لا ، لا تنطق الكلمة ...
حتى ولو ماجت بوجه النيل

أنسامُ ليلةٍ صيفٍ
حتى ولو رَفَّتْ على أرغولٍ
محرورةٌ ، نَغَمَةٌ
حتى ولو فى الرملِ خطَّ الألفِ
حرفينِ مَلَوَّيْنِ
حتى ولو طالَّعتْ فى عينيه ... فى العُمَيقِ
قَسَمَاتِكَ المحمومةِ الشَفَتَيْنِ
وتَسَاءَلْتُ شَفَتَاكَ ... ما كَلِمَةٌ ؟
تُهدى لخدِ باسمِ ... نِعْمَةٌ
وتَنَامُ فى كفينِ ممدودينِ
وتَطُوفُ أنفاساً على نَهْدَيْنِ
ما أجملَ الكَلِمَةَ .. !

ها قد نَسِيتَ حياتَكَ الأولى
والجرحَ والذَّلَّةَ

ها قد جمعتَ الحرفَ جنبَ الحرفِ والحرفَيْنِ

لَمَعَتْ بِشْيءٍ دَافِيٍّ مَقْلُهُ
وَتَمَدَّدَ الْإِعْيَاءُ فِي الشُّفَّتَيْنِ
وَعَدَا جَسُورٌ كَانَ مَغْلُولًا
وَسَقَطَتْ تَحْتَ سَنَابِكِ الْكَلِمَةِ ..



لأنَّ الحبَّ مثلَ الشعرِ . . . ميلادُ بلا حُسيانُ

لأنَّ الحبَّ مثلَ الشعرِ ، ما باحت به الشفتانُ

بغير أوانُ

لأنَّ الحبَّ قهارٌ كمثلِ الشعرِ

يرفرف في فضاءِ الكونِ . . . لا تَعْنُو لَهُ جِبْهَةٌ

وتعلو جبهةُ الإنسانِ

أحدثُكم - بدايةً ما أحدثُكم - عن الحبِّ

حديثُ الحبِّ يوجعُنِي ويُطربُنِي ويُشجِنِي

ولما كانَ خَفَقُ الحبِّ في قلبي هو النجوى بلا صاحب

حملتُ الحبَّ في قلبي ، فأوجعَنِي ، فأوجعَنِي

ولما كانَ خَفَقُ الحبِّ في قلبي هو الشكوى إلى الصاحب

شكوتُ الحبِّ للأصحابِ والدنيا ، فأوجعَنِي

ولما صارَ خَفَقُ الحبِّ في قلبي هو السكوى

لأيام بلا طعم ، وأشباح بلا صورة
وأمنية مجنحة بجوف النفس مكسورة
حملت الحب للمحبوب ، ثم دنوت من قلبه
وقلت له : أتيتك ... لا كبير النفس ، لا تياه
ولا فى الكم جوهرة ، ولا فى الصدر وشخت
ولكنى إنسان فقير الجيب والفطنة
ومثل الناس أبحث عن طعامى فى فجاج الأرض
وعن كوخ وإنسان ليستر ما تعرّيت
وحين أدار لى وجهاً شريف الملح والصورة
تغنيت ... تغنيت :

أغنية لقد محبوبى

أغنية لوجهه الجميل

أغنية لشعره الذهبى

أغنية لخدّه الأسيل

لكننى لست بموهوب

أنا فتى لا يعرف القليل

أنا فتى لا يملك القليل

وقالت لي : لوجهي والهوى يا شاعري غنيتُ
فغنّ الآن أغنية لقلبك أنتُ

أسندتُ عودي إلى الضلوعُ
ورحت استقطرُ النغمُ
فأنّ عودي على الضلوع
وغمغم الصوتُ ، وانبهم
لحنِي ، فلتسعف الدموع

وضعتُ العود ، ثم صنعت بالكلمات الحانا
بريئات كما في القلب ...
وقلت لها بأن الحب ما يصنعُ بالإنسان انسانا
وأن الحب ...

عندما يصبح إنسان حقيقة
عندما يبحث في ظل العيون السود عن عين صديقه
ويراها ...

عندما يحلم بالبيت ، وبالدفء على مخدع نظره
ويواري خوفه في متكاهها

عندما يحلمُ بالأطفالِ والنزهة في إصباحِ جمعة
عندما تُمزجُ في عينيه أشواقُ ودمعهُ
عندما يُشرعُ إنسانٌ لإنسانٍ جناحهُ
ويناغيه دلالاً وسماحه

عندما يصبح ما مرّ من الأيام محواً
لم يكن حيناً حياة القلب
عندما يصبحُ كل اللفظ لغواً
غير لفظ الحب

وغمغم الصوت وانهم
لَحْنِي ، فلتسعف الدموع
وأغضتُ ،
ثم قالت لي ،
لقد طابت بك الأيام ، مرحى بك
عرفتُ الآن أنك لي ،
وأتى لك



١٨ «الكلمات»

وقفت أمامكم بالسوق ، لا ثوبى من الديباج
ولم أتقلد الشارات ، أو ألتف بالأدراج
ولم تَعْتَمُ مثلَ البرجِ فوقَ التلِ جُنْجُمَتِي
ولم أمسك بكفى صولجانَ الحكمِ والمِقْوَدِ
وما السوقُ ببَيْتِ أبى ولا المَعْبَدِ
حديثى محضُ ألفاظٍ ، ولا أملكُ إلاها
أرقرقها لكم نَعْمًا ، أجملُّها أفانينا
أرقشها تلاوينا

وللألفاظ سلطانٌ على الإنسان

ألم يرووا لكم فى السَّفَرِ أن البدءَ يوماً كان ...

- جلُّ جلالها - الكلمة

ألم يرووا لكم فى السَّفَرِ أن الحقَّ قوَالُ

ولكننى أقولُ لكم بأن الحقَّ فعَال

أقولُ لكم :

بأن الفعلَ والقولَ جناحانِ عليّانِ

وأن القلبَ إن غمغمَ

وأن الخلقَ إن همهمَ

وأن الريحَ إن نكلتْ

فقد فعلتْ ، فقد فعلتْ !!

كتائبُ فوقِ طوقِ الحصرِ مسرجةٌ على الأفراسِ طوافةٌ

وطوقُ لجامها الكلماتُ



١٩ أغنية للقاهرة

« بعد شهر من التجوال »

لِقَاكِ يَا مَدِينَتِي حَجَّيْ وَمَبْكَايَا

لِقَاكِ يَا مَدِينَتِي أَسَايَا

وَحِينَ رَأَيْتُ مِنْ خِلَالِ ظُلْمَةِ الْمَطَارِ

نُورَكَ يَا مَدِينَتِي عَرَفْتُ أَنَّنِي غُلِّلْتُ

إِلَى الشُّوَارِعِ الْمُسْفَلَّةِ

إِلَى الْمِيَادِينِ الَّتِي تَمُوتُ فِي وَقْدَتِهَا

خَضِرَةُ أَيَّامِي

وَأَنْ مَا قُدِّرَ لِي يَا جُرْحِي النَّامِي

لِقَاكِ كُلَّمَا اغْتَرِبْتُ عَنْكَ

بِرُوحِي الظَّامِي

وَأَنْ يَكُونَ مَا وَهَبْتَ أَوْ قُدِّرْتَ لِلْفُرَادِ مِنْ عَذَابِ

يُنْبِوعُ الْهَامَى

وَأَنْ أَذُوبَ آخِرَ الزَّمَانِ فِيكَ

وَأَنْ يَضُمَّ النِّيلُ وَالْجَزَائِرُ الَّتِي تَشُقُّهُ

وَالزَّيْتُ وَالْأَوْشَابُ وَالْحَجَرُ

عِظَامِي الْمَقْتَتِ

عَلَى الشُّوَارِعِ الْمَسْفَلَتِ

عَلَى ذُرَى الْأَحْيَاءِ وَالسِّكِّ

حِينَ يَكْمُ شَمْلُهَا تَابُوتِي الْمَنْحُوتُ مِنْ جَمِيزِ مِصْرُ

لِقَاكِ يَا مَدِينَتِي بِخَلْعٍ قَلْبِي ضَاغِطًا ثَقِيلًا

كَأَنَّهُ الشَّهْوَةُ وَالرَّهْبَةُ وَالْجُوعُ

لِقَاكِ يَا مَدِينَتِي يَنْفُضُنِي

لِقَاكِ يَا مَدِينَتِي دَمْعُ

أَهْوَاكِ يَا مَدِينَتِي الْهَوَى الَّذِي يَشْرُقُ بِالْبُكَاءِ

إِذَا ارْتَوَتْ بِرُؤْيَا الْمَحْبُوبِ عَيْنَاهُ

أَهْوَاكِ يَا مَدِينَتِي الْهَوَى الَّذِي يَسَامِحُ

لَأَنَّ صَوْتَهُ الْحَيَّسَ لَا يَقُولُ غَيْرَ كَلِمَتَيْنِ . . .

إن أراد أن يصارحُ

أهواك يا مدينتي

أهواك رغم أنني أنكرتُ في رحابك

وأن طيري الأليف طارَ عني

وأنتي أعودُ ، لا مأوى ، ولا مُلتجأ

أعود كي أشردَ في أبوابك

أعود كي أشربَ من عذابك . . .



أغنية الليل

٢٠

الليل سُكرنا وكأسنا
ألفاظنا التي تُدارُ فيه نُقلُّنا ويقلُّنا
الله لا يحرمنى الليلَ ولا مرارته
وإن أتانى الموتُ ، فلأمتُ محدثاً أو سامعاً
أو فلأمتُ ، أصابعى فى شعرها الجعدِ الثقيلِ الرائحةُ
فى ركنى الليلى ، فى المقهى الذى تضيئه مصابيحُ حزينه
حزينه كحزن عينيها اللتين تخشيانِ النورَ فى النهار
عينان سوداوان
نضاحتان بالجلالِ المرِّ والأحزان
مرَّت عليهما تصاريفُ الزمان
فشالتا من كل يومٍ أسودٍ ظلاً . . .

عينانِ سرِّدِابانِ

عميقتانِ موتا

غريقتان صمتا

فإن تكلمتا

تندتا تعاسة ولوعة ومقتا

ينكشف السردابُ حينما تدقُّ الساعةُ البطيئة الخطى

معلنة أن المسا قد انكشف

تقولُ لى العينانُ :

« يا عاهرى المتوج القودين بالحديد والحصى »

« يا ملكى الغريب الاسم المزيف السمات »

« أحبيتُ فيك رؤية رأيتها منذ الصغر »

« وكان يُشبهك »

« وليسَ أنتَ ... ليسَ أنتَ ! »

« كان فتى حلمى جميلاً ، لا مزوّقا »

« مثقفاً ، لا ذربَ اللسان »

« محتشماً ، نبالةً فى الطبع ، لا خوفاً »

« وعاطفاً ، لا عاطفياً »

« يا عاهرى » .

يا خُذْ عَنِّي ،

يا قَدْرِي « !

« فِي السَّاعَةِ اللَّيْلِيَّةِ الْآخِرَةِ »

« خُذْنِي إِلَى الْبَيْتِ ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُلْغِيَ النَّدَى »

« تَذُوبُ أَصْبَاغِي

وَيَبْدُو قُبْحُ وَجْهِهِ »

وَتَصَمَّتُ الْعَيْنَانِ ، تَرْجِعَانِ

عَمِيقَتَانِ صَمْتًا

غَرِيقَتَانِ مَوْتًا

الْلَّيْلُ ثَوْبُنَا ، خِيبَاؤُنَا

رَتَبَتُنَا ، شَارَتُنَا ، الَّتِي بِهَا يَعْرِفُنَا أَصْحَابُنَا

« لَا يَعْرِفُ اللَّيْلُ سِوَى مَنْ فَقَدَ النَّهَارُ »

هَذَا شِعَارُنَا

لَا تَبْكُنَا ، يَا أَيُّهَا الْمُسْتَمْعُ السَّعِيدُ

فَنَحْنُ مَزْهُوونَ بِأَنْهَازِمِنَا



٢١ الحب في هذا الزمان

تسألني رفيقتي : ما آخرُ الطريقُ

وهل عرفتُ أوله

نحنُ دميّ شاخصةٌ

فوقَ ستارٍ مُسدَّهٍ

خطيّ تشابكتُ بلا ..

قصدي .. على دربٍ قصيرٍ ضيقٍ

الله وحدهُ الذي يعلمُ ما غايةُ هذا الولهِ المؤرَّقِ

يعلمُ هل تُدرِكُنَا السعادةُ

أم الشقاءُ والندَمُ ؟

وكيف توضعُ النهايةُ المعادةُ

الموتُ ... أو نوازِعُ السأمِ ؟

يعلمُ .. حين نلتقي بعد سنين أو شهور

هل سيكونُ في العيونِ وجَدُها

هل سيكونُ في العيونِ حَقْدُها .

أم نلتقى كالأصدقاء القدماء

يسلمون في فتور...

يودعون في فتور...

الحبُّ يا رفيقتي ، قد كان

في أول الزمان

بخضع للترتيب والحُبان

« نظرة ، فابتسامة ، فسلام

فكلام » فموعد ، فلقاء »

اليوم .. يا عجائب الزمان !

قد يلتقي في الحب عاشقان

من قبل أن يتسما

ذكرت أننا كعاشقين عصريين ، يا رفيقتي

ذقنا الذي ذقناه

من قبل أن نشتهي

ورغم علمنا

بأن ما ننسجه مُلاءة لفرشنا

تنقضه أنامل الصباح

وأن ما نهيمه ، ننعش أعصابنا
يقتله البواح
فقد نسجناه
وقد همسناه

الحب في هذا الزمان يا رفيقتي
كالخزن ، لا يعيش إلا لحظة البكاء
أو لحظة الشبق
الحب بالفطانة اختنق
إذا افرقنا ، يا رفيقتي ، فلنلق كل اللوم
على زماننا
ولنتفض الأيدي في التذكار والندم
ولنمسح الظلال عن عيوننا
ولنبسم في ثقة ، بأن ما حدث
كان إرادة القدر
وأن أمراً أمراً
وأنا قد استجبنا للذي نحسه

حينَ قَتَلْنَا حَسَنًا

وَأَن مَّا مَضَى

أَهْوَنُ مِنْ أَن نَحْمِلَهُ كَأَمْسِنَا

مِنْ أَن يَمِدَّ ظِلُّهُ الْبَغِيزُ

عَلَى شَبَابِنَا

وَلتَنْتَلِقْ مَغَامِرِينَ ضَائِعِينَ فِي الْبَحَارِ الْعَكِرَةِ

نَمْدُ جِسْمَنَا الْجَدِيدَ ، وَالضُّلُوعَ الْمَقْفَرَةَ

فِي الْغُرْفِ الْجَدِيدَةِ الْمُؤَجَّرَةِ

بَيْنَ صُدُورٍ أُخْرٍ مُعْتَصِرَةٍ



٢٢ رسالة إلى سيدة طيبة

فى يوم كانت ورده
تغفو فى كم الليل
الشمس رعتها
حتى دبّت فيها الروح
والشمس ،
الشمس أمانتها

وقدأ وتباريح
فى يوم خلق طائر
القاء الحظ العائر
فى حب الآفاق الممتدة
فمضى بصاعداً منطلقاً
هبّت ريح ألقته للسفح
وهوى فى جوف الآفاق الممتدة
ورعاه السفح ، فلم عظامه

حتى دبت فيه الروح
لكن « هل يأمن حضن الريح
طير مقصوص الريش جريح
حتى والريح رغبة
في ليلة صيف
وقع أحد الشعراء البسطاء
أنغاماً ساذجة خضراء
لينا جي قلب الإلف
لكن كفاً معشوقته قد مزقتنا أوتاره
صارت أنغام الشاعر خرساء
فإذا نطقت كانت سوداوية
يا سيدتي علّراً . . .
فأنا أتكلم بالأمثال لأن الألفاظ العريانة
هي أقسى من أن تلقيها شفتان
لكن الأمثال الملتفة في الأسما
كشفت جسد الواقع

وبدت كالصدق العُريان

أشقى ما مرّ بقلبي أن الأيام الجهمّة

جعلته يا سيدتي قلبًا جهّمًا

سلبته موهبة الحب

وأنا لا أعرف كيف أحبك

وبأضلاعى هذا القلب ...



أخرج من مدينتي • من موطني القديم
مطرًا أثقالَ عيشي الأليم
فيها ، وتحت الثوبِ قد حملتُ سرِّي
دفتته ببابها • ثم اشتملتُ بالسماءِ والنجوم
أنسلُّ تحتَ بابها بليلٍ
لا آمنُ الدليلَ ، حتى لو تشابهتُ على طلعةِ الصحراءِ
وظهرها الكتومُ
أخرجُ كاليتيمٍ .
لم أتخيرَ واحدًا من الصحابِ
لكي يُفدّيني بنفسه ، فكل ما أريدُ قتلَ نفسي الثقيله
ولم أغادرَ في الفراشِ صاحبي يُضللُ الطلابُ
فليسَ من يطلبُني سوى • أنا • القديمُ
حجارةً أكون لو نظرتُ للوراءِ
حجارةً أصبحُ أو رجُومُ

سوخى إذن فى الرمل ، سيقان الندم
لا تتبعينى نحو مهجرى ، نَشْدَتُكَ الجحيم
وانطفئ مَصَابيحَ السماء
كى لا ترى سوانحُ الألم
ثيابى السوداء
تحجّرى كقلبك الخبىء يا صحراء
ولتُنسِنى آلامُ رحلتك
تذكّارَ ما اطرحتُ من آلام
حتى يَشِفَّ جِسمى السقيم
إن عذابَ رحلتى طهّارتى
والموتُ فى الصحراءِ بعثى المقيم
لو متُ عِشْتُ ما أشاء فى المدينة المنيرة
مدينة الصّحورِ الذى يزخرُ بالأضواء
والشمسُ لا تُفارقُ الظهيرة
أواه، يامدينتى المنيرة
مدينة الرؤى التى تشربُ ضوءا

مدينة الرؤى التى تمجُّ ضوءاً
هل أنتِ وهمٌ واهمٌ تقطعتُ به السُّبُلُ
أم أنتِ حقٌّ ؟
أم أنتِ حقٌّ ؟



٢٤ أغلى من العيون

-١-

عيناك عُشِّيَ الأخيرُ
أرقدُ فيهما ، ولا أطيّرُ
هدُّ بهما وثيرُ
خيرُهُما وفيرُ
وعندما حطَّ جناحُ قلبي الترقُّ
بينهما ، عرفتُ أنني أدركتُ
نهايةَ المسيرِ
كفَّاكَ نُعمى ، نِعَمَ ما أعطيتُ للمسافرِ الفقيرِ
ابنِ سبيلِ الحبِّ والسرورِ
كانَ بلا زادٍ يسيرُ
فى المهمِّ المهجورِ
وفجأةً ، لاحَتْ له بُشارةٌ بيضاءُ

رايةً من نورٍ

راحةً من نورٍ

ومِلْتُ نحوَ ظِلِّكَ النَّدَى ، يا حبيبتى

أَنشُقُ رِيحَ الزَّهْرِ فى حَدَائِقِكَ

أُبَلِّ قَلْبى بالنَّدَى ، أُنْعِشُهُ بِالظِّلِّ والنَّسَائِمِ

يَغْسِلُنِى حَنَانُكَ الرَّقِيقُ مِثْلَمَا ۝

تَغْتَسِلُ السَّمَاءُ بِالْغَمَائِمِ

ومِثْلَمَا تَهْتَزُّ لِلرَّبِيعِ شَجَرَةٌ

يَسْقُطُ عَنِ وِرْقَى الْقَدِيمِ

يَمُوتُ حُزْنَى الْعَقِيمِ ، حُزْنَى الْمَقِيمِ

يَصَافِحُ الْحَيَاةَ وَجْهَى الَّذِى نَضَرَّتْهُ يَسْمَتُكَ

أَمَدَ نَحْوِ الشَّمْسِ كَفِيًّا

وَأَرْفَعُ الْعَيْنِينَ لِلنُّجُومِ

-٢-

مَنْ أَى نَبْعٍ رَائِقٍ يَفِيضُ حُبًّا

يَغْمُرُنَا سَعَادَةً كَأَنَّا طِفْلَانُ

لم نعرف التجوالَ في الزمانَ
أى نسيمٍ ناعمٍ هذا الحنانَ
وأى كأسٍ حلوةٍ تلكَ التى نذوقُها
حينَ تُطلُّ من عيوننا قلوبنا المجنَّحةُ
تبحثُ فى الأحداقِ عن طعامِها ومائها
ثم تنامُ فى أمان
وأى كونٍ طيبٍ يحيطُنا
حينَ نكونُ وحدنا معا
أى كمالٍ لم يُشاهدْ مثلهُ أى جمالٍ
اللهُ عادلٌ بنا ، والكونُ خيرٌ ما يزالُ
والناسُ شقاقونٌ كالخيالِ
وأنتِ يا لؤلؤتى المنورةُ
أنقى من الظلالِ

-٣-

يطيبُ لى فى آخرِ المساءِ أن أقولَ كلمتينِ
شفاعةً أرفعُها اليكِ يا سيدةَ النساءِ

الحبُّ يا حييتى أغلى من العيونُ
صونه فى عينيكِ واحفظيه
الحبُّ يا حييتى ملكُنا الحنونُ
كونى له مطيعة سميعة
الحبُّ يا حييتى هدية الحياة لى ، ولكِ
لمتعينِ حائرٍ فى السنينِ
الحبُّ يا حييتى فردوسنا الأمينُ
حين تزودُ ظهرنا الأيامُ
وتنتهى رحلتنا لشاطئ المنون
نذوبُ فى هوائه مهلينَ باسمينِ
كأننا لحونُ



لو أننا كنا كغصني شجرة
الشمس أرضعت عروقنا معاً
والفجر رواتنا ندى معاً
ثم اصطبغنا خضرة مزدهرة
حين استطلنا فاعتقنا أذرعا
وفي الربيع نكتسى ثيابنا الملونة
وفي الخريف ، نخلع الثياب ■ نعرى بدنا
ونستحم في الشتاء ■ يُدفئنا حنونا

لو أننا كنا بشطّ البحر موجتين
صفّيتا من الرمال والمحار
توجّتا سبيكة من النهار والزبد
أسلمتا العنان للتيار
يدفعنا من مهدنا للحدنا معاً

فى مشية راقصة مُدندنه
تشرُّنا سحابة رقيقة
تذوبُ تحت ثغرِ شمسٍ حلوة رقيقه
ثم نعودُ موجتين توأمين
أسلمتا العنانَ للتيارِ
فى دورةٍ إلى الأبدِ
من البحارِ للسماءِ
من السماءِ للبحارِ

لو أننا كنا نُجيمتين جارتين
من شرفةٍ واحدةٍ مطلقنا
فى غيمةٍ واحدةٍ مضجعنا
نضئُ للعشاقِ وحدهم وللمسافرين
نحو ديارِ العشقِ والمحبة
وللحزاني الساهرين الحافظين مَوثِقَ الأحبة
وحين يَأْفُلُ الزمانُ يا حييتى
يُنْذِرُكُنَا الأُفُولُ

وينطفئ غرامنا الطويلُ بانطفائنا
يبعثنا الإلهُ في مسارِبِ الجنانِ درتينِ
بين حصيٍّ كثيرٍ
وقد يرانا مَلَكٌ إذ يَعْبُرُ السَّيْلُ
فينحنى • حين نشدَّ عينهُ إلى صفائنا
يلقطننا • يمسحنا في ريشه ، يُعجبهُ بريقنا
يرشقنا في المفرقِ الطهورِ

لو أننا كنا جناحي نورٍ رقيقٍ
وناعمٍ • لا يَبْرَحُ المضيقُ
محلَّقٍ على ذُؤاباتِ السفنِ
ييسرُ الملاحَ بالوصولِ
ويوقظُ الحنينَ للأحبابِ والوطنِ
منقاره يقاتُ بالنسيمِ
ويرتوى من عرقِ الغيومِ
وحينما يُجنّ ليلُ البحرِ يطوينا معاً . . . معاً
ثم ينامُ فوق قَلْعِ مركبِ قديمٍ

يؤانسُ البحارة الذين أرهقوا بغربة الديار
ويؤنسون خوفه وحيرته
بالشدو والأشعار
والنفخ في المزمار

لو أننا

لو أننا

لو أننا ، وآه من قسوة « لو »
يا فتتى ، إذا افتتحنا بالمتى كلامنا
لكننا ...

وآه من قسوتها « لكننا »

لأنها تقولُ في حروفها الملفوفة المشتبكة
بأننا نُنكرُ ما خلّفت الأيامُ في نفوسنا
نودُّ لو نخلعهُ

نود لو ننساه

نود لو نعيده لرحم الحياة

لكننى يا فتتى مجرَّبٌ قعيدٌ

على رصيفِ عالمٍ يَوجُّ بالتخليط والهِمَامَة

كونِ خلا من الوَسَامَةِ
أكسبني التعتيمَ والجُهامه
حين سقطتُ فوقه في مطلع الصبا

قد كنتُ فيما فاتَ من أيامِ
يا فتنتي محارباً صلباً • وفارساً هُمَامَ
من قبلِ أن تدوسَ في فؤادي الأقدامُ
من قبل أن تجلِدَنِي الشُّموسُ والصقيعُ
لكي تذل كبريائي الرفيعُ
كنتُ أعيشُ في ربيعِ خالدٍ ، أي ربيعِ
وكنتُ إن بكيتُ هزني البكاءُ
وكنتُ عندما أحسَّ بالرثاءُ
للبرّساءِ الضعفاءُ
أودُّ لو أطعمتهم من قلبي الوجيعُ
وكنتُ عندما أرى المحيرين الضائعينَ
التائهينَ في الظلامِ
أود لو يُحرقُنِي ضياعُهُم • أود لو أضيءُ
وكنتُ إن ضحكْتُ صافياً • كأنتي غديرُ

يَفْتَرَّ عَنْ ظِلِّ النُّجُومِ وَجْهَهُ الْوَضِيُّ
مَاذَا جَرَى لِلْفَارِسِ الْهُمَامُ ؟
انْخَلَعَ الْقَلْبُ ، وَوَلَّى هَارِباً بِلَا زِمَامٍ
وَانْكَسَرَتْ قَوَادِمُ الْأَحْلَامِ
يَا مَنْ يَدُلُّ خُطُوتِي عَلَى طَرِيقِ الدَّمْعَةِ الْبَرِيثَةِ
يَا مَنْ يَدُلُّ خُطُوتِي عَلَى طَرِيقِ الضَّحَكَةِ الْبَرِيثَةِ
لَكَ السَّلَامُ
لَكَ السَّلَامُ
أَعْطَيْكَ مَا أَعْطَيْتَنِي الدُّنْيَا مِنَ التَّجْرِبِ وَالْمَهَارَةِ
لِقَاءَ يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنَ الْبَكَارَةِ
لَا ، لَيْسَ غَيْرَ « أَنْتَ » مِنْ يَعِيدُنِي لِلْفَارِسِ الْقَدِيمِ
دُونَ ثَمَنِ
دُونَ حَسَابِ الرِّيحِ وَالْخَسَارَةِ

صَافِيَةُ أَرَاكَ يَا حَيِّتِي كَأَنَّمَا كَبُرْتَ خَارِجَ الزَّمَنِ
وَحَيْنَمَا التَّقِينَا يَا حَيِّتِي أُيْقِنْتُ أَنَّنَا
مَفْتَرِقَانُ

وأنتى سوف أظلّ واقفاً بلا مكان
لو لم يُعدنى حُبكِ الرقيقُ للطهارة
فنعرفُ الحبَّ كغُصْنى شجرة
كنجمتين جارتين
كموجّتين توأمين
مثل جناحي نورسٍ رقيقٍ
عندئذٍ لا نفترقُ
يضمنا معاً طريق
يضمنا معاً طريق



٢٦ انتظار الليل والنهار

وهكذا مات النهار
ومال جنب الشمس • واستدار
ثم تساقط المساء فوقنا •
مثل جدار خرب • وانهار
واعتنقت صحيفة السماء والغبراء ،
لطحنا الجبين بالغبار
وانطفأت نوافذ المرضى ، وأنوار الجسور
أعين الحراس والمآذن
تكوّمت حوائط الظلمة في مداخل البيوت والمخارن
فانكفأت كثية مرصوفة ، كأنها مدافن
منهارة على بقايا جبل منهار



في آخر المساء شعشت سحابة بنور

سحابةٌ ناحلة رقيقةٌ
وأومضت حمراءَ حمرةَ الزهور
سُويعةٌ ، وانطفأت في عتمة الأفق
واندفع النهار
(يا حمرة الغسق
يا لون عمري الذي ودعته حقيقةً . . .
وعشته تذكّارٌ
أضباعكِ الليل كما أضباعك النهار)



وهكذا مات المساء
حين تقلبت على ضلوعها الشمسُ
وهبت تعنلى السماء
تنفست شوارعَ المدينة الرعناء
أصوات ضجّةٍ بلا إيقاع
وانسكبت مجامر الشعاع
تمور في العيون ، تكشف الظلال ،
تثقب الحجر

أواه يا نور الضحى ■
ملأت قلبي فزعاً وترحاً
لأننى رأيت فوق ما أردت أن أرى
بوركت وقدة الظهيرة
النورُ يجلدُ العيونَ ، تَعشى ، لا ترى
من البيوت والبشر
سوى مكعباتٍ لونٍ وحجر



فى آخر اليوم تدب فى عروق الشمس فترة الملل
ويولد اللون الرمادى الرقيق
حتى ضجيج الطرقات
ينحلُّ إيقاعاً رمادياً رقيقاً
(كلون أيامى التى ما استطعتُ أن أعيشها حياة ...
فعشتها تأملاً)



سريعة ■ ويهبط السوادُ حين يتقضى الأصيل

فالشمس ألفت نظرة الوداع

واتكأت مرهقةً على التلال



وهكذا تمضى الحياة بى ،

أعيش فى انتظار

هل ...

لحظةً مشرقةً فى ظلمات الليل

أو ... لحظةً هادئةً فى غمرة النهار



٢٧ مراثية رجل تافه

مضت حياته .. كما مضت

ذليلة موطأه

كأنها تراب مقبره

وكان موته الغريب باهتاً مباغتاً

متظراً ، مفاجاه

(الميتة المكرره)

كان بلا أهل ، بلا صحاب

فلم يشارك صاحباً حين الصبا لهو الصبا

ليحفظ الوداد فى الشباب

كان وحيداً نارفاً كعابر السحاب

وشائعاً كما الذباب

وكنت أعرفه

أراه كلما رسا بى الصباح فى بحيرة العذاب

أجمع فى الجراب

بضع لقيمات تناثرت على شطوطها التراب

ألقى بها الصبيان للدجاج والكلاب

وكنت أن تركت لقمة أنفت أن ألمها

يلقطها ، يمسحها فى كفه ،

يوسها ، يأكلها

« فى عالم كالعالم الذى نعيش فيه

تعشى عيون التافهين عن مساخة الطعام والشراب »

وتسألوننى : أكان صاحبى ؟

وكيف صحبة تقوم بين راحلين

إذن لماذا حينما نعا الناعى إلى نعيه

بكيته

وزارنى حزنى الغريب ليلتين

ثم رثيته



٢٨ مراثية رجل عظيم

كان يريد أن يرى النظام فى القوضى ،

وأن يرى الجمال فى النظام

وكان نادر الكلام

كأنه يبصر بين كل لفظتين

اكلوبة ميتة يخاف أن يبعثها كلامه

ناشرة القودين ، مرخاة الزمام

وكان فى المسا يطيل صحبة النجوم

ليبصر الخيط الذى يلماها

مختبئاً خلف الغيوم

ثم ينادى الله قبل أن ينام :

الله ، هب لى المقلة التى ترى

خلف تشتت الشكول والصور

تغيرُ الألوان والظلال

خلف اشتباه الوهم والمجاز والخيال

ونخلف ما تسدله الشمس على الدنيا .

وما ينسجه القمر

حقائق الأشياء والأحوال

وتسألونني : أكان صاحبي

هل صُحبةٌ تقوم بين سيد عظيم

وخادم محتال ؟



٢٩ زيارة الموتى

زرنا موتانا في يوم العيد
وقرأنا فاتحة القرآن ، ولملأنا أهداب الذكرى
وبسطناها في حضن المقبرة الريفية
وجلسنا ، كسرنا خبزاً وشجوناً
وتساقينا دمعاً وأنينا
وتصافحنا ،
وتواعدنا ، وذوى قربانا
أن نلقى موتانا
في يوم العيد القادم



يا موتانا
كانت أطياكم تأتينا عبر حقول القمح الممتده
ما بين تلال القرية حيث ينام الموتى

والبيتِ الواطئِ في سفح الأجران
كانت نسماتُ الليل تعيركم ريشاً سحرية
موعدكم كنا نترقبه في شوق هدهد الاطمئنان
حين الأصوات تموت ۝

ويجمد ظل المصباح الزيتي على الجدران
سنشم طراوة أنفاسكم حول الموقد
وسنسمع طقطقة الأصوات كمشى ملاك وسمان
هل جئتم تاتسون بنا ؟

هل نعطيكم طرفاً من مرقدنا ؟
هل ندفئكم فينا من برد الليل ؟
نتدفأ فيكم من خوف الوحدة

حتى يدنو ضوء الفجر ، ويعلو الديكُ سقوف البلده
فنقول لكم في صوتٍ مختلج بالعرفان
عودوا يا موتانا

سندبر في منحنيات الساعات هنيهات
نلقاكم فيها ۝ قد لا تُشبعُ جوعاً ، أو تروى ظمأ

لكن لُقْمٌ من تذكاري ،
حتى نلتقاكم في ليل آت



مرت أيام يا موتانا ، مرت أعوام
يا شمس الحاضرة الجرداء الصلده
يا قاسية القلب الناري
لَمْ أَنْضَجْتُ الأيامُ ذوائبنا بلهيبك
حتى صرنا أخطاباً محترقات
حتى جفّ الدمعُ التديانُ على خدِّ الورقِ العطشان
حتى جفّ الدمعُ المستخفي في أغوار الأجفان



عفواً يا موتانا
أصبحنا لا نلتقاكم إلا يوم العيد
أدركتم أننا صرنا أخطاباً في صخر الشارع ملقاة
أصبحتم لا تأتون إلينا رغم الحب الظمآن
قد نذكركم مرات عبر العام ...

كما نذاكرُ حلماً لم يتمهل في العين
لكنّ ضجيج الحاضرة الصخرية
لا يسعفنا حتى أن نقرأ فاتحة القرآن
أو نطبع أوجهكم في أنفسنا • ونلمّ ملامحكم
ونخبّها طيّ الجفن



يا موتانا
ذكراكم قوت القلب
في أيام عزت فيها الأقوات
لا تنسونا .. حتى نلقاتكم
لا تنسونا .. حتى نلقاتكم



٣٠ يا نجمى .. يا نجمى الأوحـد

ها أنت هنا ، أشرقت على موعد
يا نجمى ، يا نجمى ، الأوحـد
يا فرحى ، يا عمرى الأسعد
وأنا أخطو نحو الدار
قلبي المشبوب ، وقد أغفت
فى صدرى باقة أرهار
وسنجلس فى الركن النائى .. قطين أليفين
مقرورين
نتحسس ما أبقت أيامُ الذل على وجهى المكدودُ
وعلى خديك من الألم الممدود
يا نجمى ، يا نجمى الأوحـد
ما زلنا - ما زال العالم
ما زال كئيباً ، ما زال
وأنا أصعد

وأدق على صدرِ الباب
ويجيبُ الصوتُ المجهود
« إن كنت صديقاً فتقدم »
وأقول « سلاماً »

وأنا لا أملك من دنياى سوى لفظ سلام
وجلسنا فى الركن النائى . . .

نحكى ما قد صنعته الأيام
ونما فى قلبينا مرح مغلول الأقدام
مرح خلّابٌ كالأحلام
وقصير العمر

هل يضحك يا نجمى إنسان مقصوم الظهر
يا نجمى . . .
فلتتاجى ،

ولتتحسس ما أبقت أيام الذل
ولأن الأيام مريضه
ولأن الليل الموحش يولد فيه الرعب

تعتل كليمات الحب

يا نجمي • يا نجمي الأوحـد

ما يصنع قِزْمان التقيا في ظل مساء ؟

منهوكين

وعليلين

نظرا في استحياء

عرفا الأيامَ المـروره

وأنين النفسِ المكسوره

وسعار الدَمِّ المذنب حين يحن إلى الدم

لفحت أيام الرعب رُواءَهما حتى شاهـا

وُذوى في عينها زهو الفطنه

عريا من بزة هذا العصرِ المشهود

صَفْرًا ، صَفْرًا ، حَتَّى دَقَّا

حتى صارا قِزْمينِ

مقرورين

ثم التقيا في ظل مساء

فى قلب العاجز ماذا يُلقى العاجز
ماذا يَهَبُ العُرْيَانُ إلى العريان
إلاَّ الكلمه

والجلسه فى الركن النائى ■

قزمين ودودين

صَغُرَا ، صَغُرَا ، حتى دقا

فى قلب العاجز ماذا يُلقى العاجز إلا الحبُّ المعتل
مَسَّحَتْ صدر الشباك أصابعُ ریح شرقیه
وتوهج قلبانا من شىء يولد فى الظلمه
فتلاصقنا

وتعانقنا

ثم خبا ، لم ندرك شيئا

ونهدل كفانا ، أغضت

عينانا ، أخرفنا دمعة

يا أيتها الريح .. الريح الشرقيه

يا .. يا وهج الدفء

عودًا ! أوصدنا بايينا

وعرفنا أنا قزمان مقرران
من خيركما لم ندرك شيئاً
فوداعاً يا نجمي الأوحـد
ولأن الأيام مريضة
ولأن الليل الموحش يولد فيه الرعب
لن نجنى .. حتى الحب



مرثية لعبد الناصر

لا ، لم يميت ...

وتظل أشتاتُ الحديث ممزقاتٍ في الضمائرِ

غافياتٍ في السكينةِ

حتى تصير لها من الأحزان أجنحةً ،

تطير بها كلما مرهقا ، يمضي ليلقُفه الهواءُ

يرده لترن في جدرانهِ دور مدينة الموت الحزينه

أصوات أهلها الذين نبت بهم سرُّ البكاء

يتجمعون على موائد السهر الفقير ، معذيين

ومطرقين

الدمع سقياهم ، وخبزهم التأوه والأنين

يلقون - بين الدمعتين - زفير أسئلة ،

تُخشخش مثل أوراق الخريف الدابلاتُ

هل مات من وهب الحياة حياته

حقاً أمات ؟

ماذا سنفعل بعده ؟

ماذا سنفعل دونه ؟

حقاً أمات ؟

تتجمع الكلمات حول اسم سري كالنبض في شريانهم ،

عشرين عاما

كان الملاذ لهم من الليل البهيم

وكان تعويد السقيم

وكان حلم مضاجع المرضى ، وأغنية المسافر في

الظلام

وكان مفتاح المدينة للفقير ، يدوده حرس المدينة

عن حماها

وكان موسم نيلها .

يأتي فيثر ألف خيط من خيوط الخصب تورق في رباها

وكان من يحلو بذكر فعاله في كل ليله

للمرهقين النائمين بنصف ثوب ، نصف بطن
سَمَرُ المودة والتغنى والتمنى والكلام

والآن أصبح كل لفظ خنجرا ، ولكل أمنية عذاب
هل مات ، واحزنناه

آه لو يعود لبرهة « ويجيل نظرته ،

ويكشف عن غد بعض الضباب

أواه ، لكن كيف آب إلى التراب ؛

ولم يحن وقت الإياب

القول يرهقنا ،

لنصمت ،

علَّ في الصوت التأسى والسلام

فالنصمت أجمل ما يكون إذا غدت سبيلُ الكلام

تنفضي إلى نار المواجد أو إلى ماء السراب

وتقودنا الذكرى الصموت إلى عميق نفوسنا المלאى «

وتختلج الظلال

ونهم في كنا وكان
ويعود ذياك الزمان
ونروح في استرخاء الموجد نشر عمرنا في ظله
يوماً فيوما

الصفحة الأولى . .

وكان مجيئه وعداً من الآجال
لا يوفي لمصر ألف عام
والليل محدود السراق فوقنا ظلماً وظلماً
والثورة الكبرى توهم واهم ورؤى خيال
حتى طلعت ، طلعتما ، الثورة الكبرى ، وأنت
كان مصر الأم كانت قد غفت ،
كي تستعيد شبابها ورؤى صباها
وكانها كانت احترقت . .

لتطهر ثم تولد من جديد في اللهب
وخرجت أنت شرارة التاريخ من أحشائها
لتعود تُشعل كل شيء من لظاها

وتعيش فى أيماننا الملى بصوتك منشداً لغة وخيمه
كى يوقظ الموتى من الأجداد .

يبعث من ركام العالم المدفون أطياف انتصارات

قديمة

لتعود للوادي ، وتبعث فى ثرى مصر الجديده

والعظيمة

ونعيش مع أيماننا الملى بيومك واسعاً كالأمنيات ،

وضيقاً بالصخر والشوك المدمى والرماد

أيماننا الملى بأصداء انتصارك ..

سهماً المسنون جار مداه منتصراً وعاد

أيماننا الملى بأوجاع انكسارك

أُحْدٌ وبدر شارتان على رداء محمد ، عاش الجهاد

لا ، لم تكن نحيا كما يحيون أيماناً نُقْضِيها إلى يوم المعاد

بل كان ما نحياه تاريخاً كأروع ما تكون ملاحم التاريخ

ساح ترن بها أغانى المجد مُرْعِدَةً ، وحممة الجياد

ونعيش فى أيماننا الملى بوقع خطاك فى الوادي الأمين

إذ كنت فرحتنا الكبيرة . حين تمسك فى يديك الحلم ،

تشر منه فوق أسرة الأطفال والمستضعفين
أو فى نواحي بيت مصر على رؤوس شبابها المتجمعين
إذ كنت تجعلهم يمدون الرقاب وتشرب عيونهم
نحو السماء

ويُمدُّ حبل الأمنيات لكى يصيد الشمس من عليائها
حتى لنطمح أن نُقسِّم نورها قطعاً على أحبائنا
ونعيد ما طمر الزمان ، وأخلفت عدة السنين
ونعيش فى أيامنا المملأى بصورتك التى عاشت على أهدابنا
عشرين عاماً

نلقاك شاباً فى رداء الحرب تنفخ فى النفير
كى توقظ الأشلاء ، تجمع شمل مصر المسترقة
كانت على مجرى الزمان تمزقت قطعاً
فقطفت على مسار النيل تجمع مزقة فى إثر مزقة
حتى نهضت ، نهضتما ، أقيتما التابوت فى لهب السعير
وعدتما فى خير رفقة

نلقاك كهلاً أشيب الفودين فى عمر النبوه

تُعلَى موَاقِفُ الأَخُوهِ
وتَضُمُ في عَيْنِكَ تَوَقُّ النِيلِ لِلأَنْهَارِ ■
يلغَطُ أَهْلُهَا بُلْغَى العُرُوبِ
وتؤَلِّفُ المَدَنَ القَرِيبِ
كَانَتْ قَدْ اخْتَلَفَتْ وَغَيْرَهَا الزَّمَانُ ■
وأَصْبَحَتْ مَدَنًا غَرِيبِ
نَلْقَاكَ في الخَمْسِينَ أَكْثَرَ حِكْمَةٍ وَأَشَدَّ حُزْنًا
الأَقْرَبَاءُ تَبَاعَدُوا وَتَبَاغَضُوا ،
وَالنَّصْرُ أَخْلَفَ وَعْدَهُ ، وَاللَّهُ يُلْهِمُنَا الطَّرِيقَ ،
يَشُدُّ أَرْزَ الْمُؤْمِنِينَ
اللَّهُ ! يَا هَوْلَ السَّنِينَ
المَحَنَةُ الكُبْرَى ■ وَوَجْهَكَ غَائِبٌ ، وَاللَّيْلُ يُوغِلُ
وَالشَّجَوْنُ
هَلْ مِتَّ ■ لَا ■ بَلْ عَدَتْ حِينَ تَجْمَعُ الشَّعْبَ الكَسِيرَ
وَرَاءَ نَعْشِكَ
إِذْ صَاحَ بِالإِلَهَامِ :

مصر تعيش . . . مصر تعيش . . .

أنت إذن تعيشُ ، فأنت بعض من ثراها

بل قبضة منه تعود إليه ■ تعطيه ويعطيها ارتعاشتها

وخفقَ الروح يسرى في بقايا تربها ■ وذمما دماها

مصر الولود نمتك ■ ثم رعتك ، ثم استخلفتك على ذراها

ثم اصطفتك لحضنها ،

لتصيرَ أغنية ترفرف في سماها



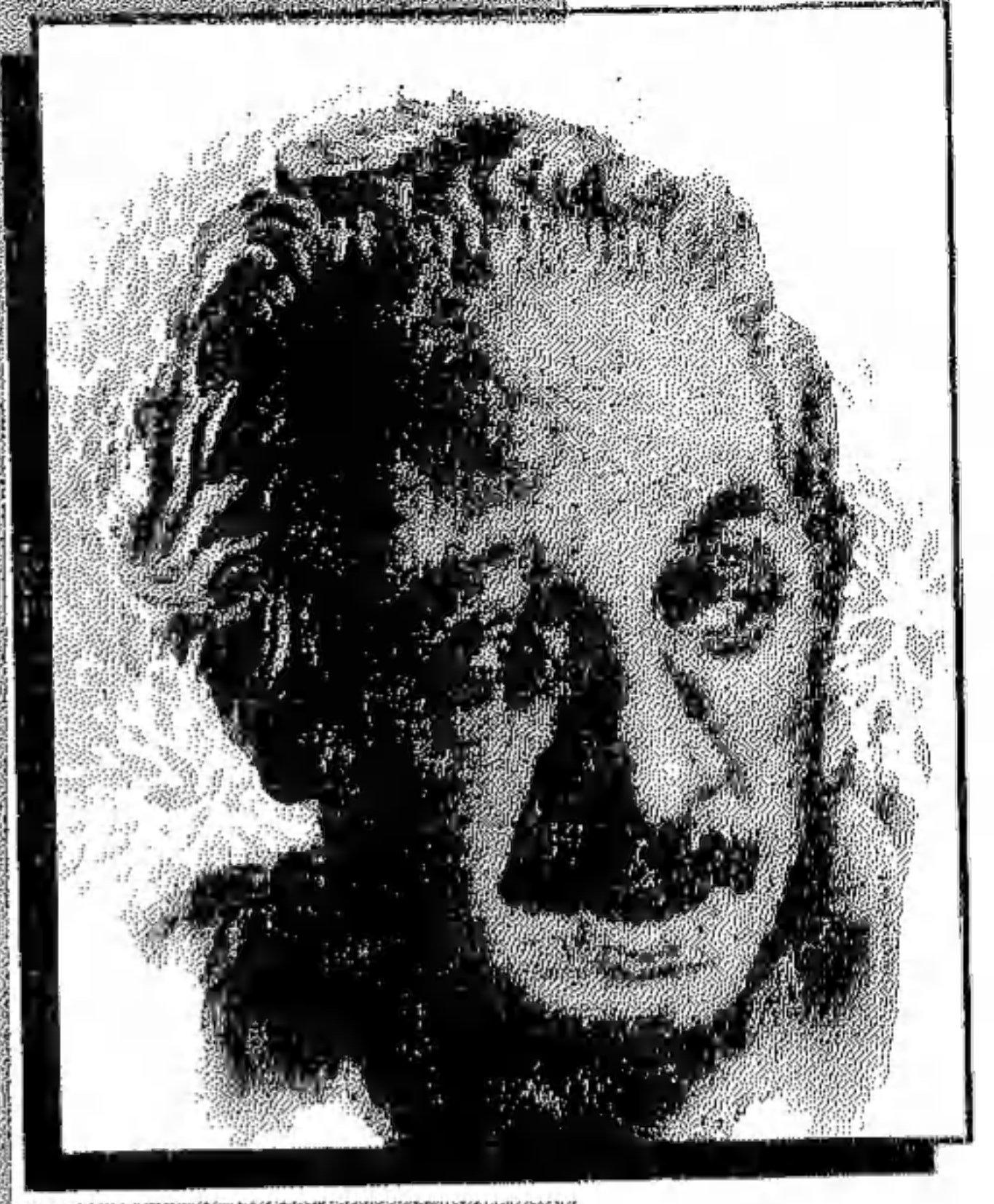
رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٨/٨٠٩٢

I.S.B.N 977- 01 - 5723 - 6

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

تنخر مكتبة الأسرة بأن تقدم إلى
القارئ العربي هذا العلم مختارات من
أروع ما كتبه الشاعر العظيم صلاح
عبد الصبور ، وهي تجمع شتى الفنون
التي أبدعها وتفوق فيها ، وتمتاز بالفتور
في السرى وفي الأساليب والأشكال
الفنية ، وتشهد بعبقريته قل أن يجود
الزمان بمثلا .

وقد اختيرت القصائد بدقة من
دواوينه الأربعة الأولى وروعى في
ترتيبها التسلسل الزمني ، بحيث يمكن
للقارئ أن يتابع تطور الشاعر من
الديوان الأول ، الناس في بلادى ، إلى
الثانى وهو ، أقول لكم ، إلى الثالث ، وهو
، أحلام الفارس القديم ، وحتى الرابع وهو
، تأملات فى زمن جريح ، . ونرجو أن
تكون هذه الطاقة من أزهار الشعر الحديث
حافزا يحفز القراء على قراءة الدواوين
كلها فيما بعد .



مكتبة الأسرة



بسعر رمزى مائة وخمسون قرشا

بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع